مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830

المجلد السابع / العـدد الثاني
(جمادى الثاني 1445هـ/ ديسمبر 2023م)، ص 147–171

الاستفهام الحجاجي في محاورة إبراهيم عليه السلام قومه، سورة الشعراء نموذجا.

The Argumentative question in the debate between Abraham peace be upon him and his people, Surah Al-Shu`ara as a model.

ط د/ عبدالقادر بلعجال[1] Abdelkader belladjal، **أ د. مسعود صحراوي** [2] Masoud Sahraoui

[1] جامعة عمار ثليجي بالأغواط، مخبر اللسانيات التداولية وتحليل الخطاب الأدبي(الجزائر)

Ammar Telji University - Laghouat, Laboratory of pragmatic linguistics and literary discourse analysis. (Algeria)
abdelkader.beladjel@gmail.com

[2] جامعة عمار ثليجي بالأغواط، مخبر اللسانيات التداولية وتحليل الخطاب الأدبي (الجزائر).

Ammar Telji University - Laghouat, Laboratory of pragmatic linguistics and literary discourse analysis. (Algeria)
hammaboutaleb56@gmail.com

المؤلف المرسل: **عبدالقادر بلعجال** Abdelkader belladjal البريد الالكتروني: abdelkader.beladjel@gmail.com

تاريخ الاستلام: 25 /2022/01 تاريخ القبول: 08 /2023/06

الملخص: تحاول هذه الورقة البحثية –من وجهة نظر حجاجية– تعليل ظاهرة بلاغية بارزة في استعمال العرب، وفي نصوص الذكر الحكيم، وهي العدول عن الخبر الصرف إلى الإنشاء، وتحديدا العدول عن الخبر إلى الاستفهام البلاغي، إذ يرى المتكلم أن التركيب المعدول إليه يحقق– تداوليا– فعل التأثير واستمالة المتلقي أكثر من غيره، وقد اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي.

فكان أن كشف الاختبار عن جملة من الآليات الحجاجية التي تشتغل متضافرة ومتفرقة لتحقيق أهداف المستفهِم، من قبيل دفع المخاطَب إلى الانخراط في المحاورة، و إشراكه في بناء الاستدلال، أو محاصرته، أو حمله على الإقرار بطائفة من الحجج، وقد استخلصنا ذلك من أعمال بعض علماء العرب، منهم شراح التلخيص وعبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز، ومن خلال محاورة نبي الله إبراهيم قومه في استفهامات سورة الشعراء من القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: استفهام، بلاغي، حجاج، تقرير، استدراج.

Abstract:

This research paper attempts to explain a prominent rhetorical phenomenon in the use of Arabs and Holy Quran from an argumentative point of view. It is the Refrain from affirmative sentence to an interrogative one. Since the speaker sees that this structure is pragmatically more effective at convincing. This research uses a descriptive and analytical approach; hence, the test reveals a set of argumentative mechanisms for achieving the questioner's aims through pushing the listener to get involved in the conversation, in making deduction, surrounding him, enticing him or making him approve of some arguments. This was deduced form works Arab researches like 'Explanation of the summary' and Abdel-Qaher Al-Djordjani in dalayil al'iiejaz, and through debate between the Prophet Abraham and his people, in the questions of Surat al-Shu`ara 'from the Holy Quran.

Key words: questioning; argumentation; rhetorical; reporting; enticing.

1. مقدمة

يتخذ مستعمل اللغة من تراكيبها المرنة أداته لبلوغ الغرض الذي يتوخاه من المخاطَبين، ومن مظاهر هذه المرونة في اللغة العدول عن تركيب إلى آخر؛ إذ يرى المتكلم أن التركيب المعدول إليه يحقق- تداوليا- فعل التأثير واستمالة المتلقي أكثر من غيره.

ومن الظواهر البارزة في البلاغة العربية؛ ظاهرة العدول عن الخبر إلى الإنشاء والعدول إلى الخبر عن الإنشاء، وقد يُعدل عن الإنشاء بالنهي إلى الإنشاء بالاستفهام وإلى الاستفهام عن الأمر وهكذا.

وكثيرا ما يخرج الاستفهام عن حقيقته إلى معنى الخبر، ومنه يتفرع إلى معان عديدة تكشف عما اعتمل في نفس المستفهم من أغراض أخرى غير الاستفهام الباقي على أصله؛ مما فصله أهل البلاغة

مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830

المجلد السابع / العـدد الثاني
(جمادى الثاني 1445هـ/ ديسمبر 2023م)، ص 147–171

وعلماء الأصول في المعاني التي يتجه إليها إذا كان مفيدا لمعنى الإخبار، وهو ما نُحث تحت عنوان الاستفهام المجازي أو الاستفهام البلاغي، وهنا نسأل إلام يسعى المستفهم بعدوله عن الخبر الصرف إلى الاستفهام المفيد لمعنى الخبر؟ هل يستهدف التأثير في المتلقي؟ أو ما الداعي – حجاجيا– الذي يدفع المتكلم إلى "ركوب لفظ "وهو لا يريد ما وضع له في الأصل؟ وتحديدا ما الآليات والأبعاد الحجاجية الكامنة في هذا التركيب التي أسعفت المستفهم ودعته إلى العدول عن غيره إليه ؟

يستهدف هذا البحث ضبط آلية اشتغال بعض الاستفهامات البلاغية حجاجيا؛ من خلال قراءة تحليلية في بعض ما جاء عند عدد من الباحثين العرب سيما عند شراح التلخيص، وعند عبد القاهر الجرجاني، ثم بتحليل استفهامات وردت في آيات قرآنية حاجَّ فيها نبي الله إبراهيم عليه السلام قومه، اعتمادا على المنهج الوصفي التحليلي وفق الخطة الآتية:

- **ضبط المصطلحات (الحجاج– الاستفهام)**
- **الاستفهام البلاغي والحجاج**
- **آليات اشتغال الاستفهام الحجاجي في محاورة نبي الله إبراهيم –عليه السلام– قومه**
- **خاتمة**

2. ضبط المصطلحات (الحجاج – الاستفهام):

تستدعي كل دراسة وضع الحدود بداية لحصر موضوع الدراسة؛ لذا ينطلق البحث من بيان عام لمفهوم الحجاج كنظرية حديثة تستهدف بحث آليات الإقناع والتأثير، ثم بضبط مفهوم الاستفهام من خلال التعريف اللغوي للاستفهام، ثم بيان معناه في الاصطلاح– في اختصار غير مخل – بما يفيد في تحديد الملامح الحجاجية لهذا الأسلوب بعد ذلك.

1.2 مفهوم الحجاج:

أ.لغة:

من مادة (حجج)" والحَجُّ في الأصل القصد؛ وفي العرف قصد مكة للنُسك... والحُجَّة: البرهان؛ وحَاجَّه فحَجَجَه من باب رَدَّ: أي غلبه بالحُجّة، وفي المثل: لجّ فحَجَّ، فهو رجل مِحْجاج بالكسر أي: جَدِل ؛ و(التحاجّ) التخاصم، و(المحجّة)بفتحتين جادة الطريق".[1]

ولا يختلف ذلك كثيرا عما جاء في لسان العرب حيث يقول صاحبه: " والحجُّ القصد؛ حجّ إلينا فلان أي: قدم؛ وحَجَّه، يحُجُّه، حَجًّا، قصده...والمَحَجَّة: الطريق؛ وقيل: جادّة الطريق؛ وقيل: محجّة الطريقَ سنَنُه .. والتحاجّ: التخاصم؛ وجمع الحُجَّة: حُجَج وحِجاج؛ وحَاجّه مُحاجّة وحِجَاجًا: نازعه الحُجَّة؛ وحَجَّه يَحُجّه: غَلَبَهُ عَلَى حُجَّتِه ".[2]

ب.اصطلاحا:

تتعدد التعريفات الاصطلاحية بتعدد المنحى الذي تتخذه النظرية طريقها لكشف الأوجه الحجاجية في اللغة؛ بين من يبحث في الجانب المنطقي للغة، وبين من يدرسها من جانبها اللساني النسقي، وبين باحث في جانبها البلاغي وهكذا.

وهنا نذكر ما يتردد في ما سمي بالبلاغة الجديدة، من أن الحجاج طائفة من الآليات البلاغية والمنطقية التي تستهدف الإقناع، يمثل هذا المنحى بيرلمان وتيتكاه في مصنفهما " مصنف في الحجاج – البلاغة الجديدة – "، فقد عرفاه بأنه " درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم".[3]

أما التصور الذي يعتبر الحجاج وظيفة لسانية تعتمد أساسا على معطيات اللغة، أو ما سمي بالحجاج اللغوي، فيمثله ديكرو و انسكومبر صاحبا التداولية المدمجة، إذ يتمثل الحجاج عندهما في تقديم المتكلم قولا (ق 1)، يفضي إلى التسليم بقول آخر (ق2)، وسواء أكان (ق2) صريحا أو ضمنيا، فعملية قبول (ق2) على أنه نتيجة للحجة (ق1)، تسمى عمل محاجة[4]، ويقترب من هذا التصور تعريف بلونتان للحجاج بأنه

"العملية التي من خلالها يسعى المتكلم إلى تغيير نظام المعتقدات والتصورات عند مخاطبيه، بواسطة الوسائل اللغوية"[5].

2.2 تعريف الاستفهام:

أ. لغة:

ورد في لسان العرب: " واسْتَفْهَمه: سأَله أَنْ يُفَهِّمَه، وَقَدِ اسْتفْهَمَني الشيءَ فأَفْهَمْته وفَهَّمْته تَفْهِيمًا"[6]، إذن مدار الاستفهام في اللغة على أنه طلب فهم أمر جهله المستفهِم أو استشكل عليه.

ب.اصطلاحا:

جاء في "الكتاب" أنّ الاستفهام هو ما يراد " به من المخاطب أمرا لم يستقر عند السائل"[7]، أما ابن يعيش فيرى أن" الاستفهام مصدر استفهمت؛ أي طلبت الفهم وهذه السين تفيد الطلب"[8]، ويعرفه السكاكي بقوله" الاستفهام طلب حصول في الذهن..."[9]، والمعنى على أن المطلوب شيء في الخارج يراد أن يحصل له وجود مماثل في ذهن السائل، ويناقش الدسوقي هذا التعريف بكونه غير مانع لأنه" كان على الشارح أن يزيد بأدوات مخصوصة ليخرج نحو: عَلِّمني وفَهِّمني... "[10].

وفي فروق العسكري" والسُّؤال هو طلب الإخبار بأداته في الإفهام "[11]، فقد حدَّ العسكري الاستفهام هنا بكونه طلبا لا يكون بغير أداته الموضوعة له، ثم إنه فرّق بين السؤال والاستفهام باعتبار" أن الاستفهام لا يكون إلا لما يجهله المستفهم أو يشك فيه، وذلك أن المستفهم طالب لأن يفهم، ويجوز أن يكون السائل يسأل عما يعلم وعما لا يعلم، فالفرق بينهما ظاهر، وأدوات السؤال: هل والألف وأم وما ومن وأي وكيف وكم وأين ومتى".[12]

3. الاستفهام البلاغي والحجاج:

يشترط علماء العرب في الاستفهام ليكون على حقيقته طلبا لما هو غير حاصل وقت الطلب أن يكون المستفهم جاهلا بالمستفهم عنه مفردا أو نسبة؛ فقد" قيل: ما ثبت فيه الاستبهام صح عنه الاستفهام "[13]، فإن بدا هذا المستفهم عالما بما يسأل عنه من خلال قرائن يكشف عنها السياق[14]، سمي استفهاما بلاغيا، لأن هذا النوع من الاستفهام يتجه إلى معان أخرى غير الاستفهام مما يكون موضوع بحث لدى البلاغي، وقد تختلف تسمية هذا النوع من الاستفهام بالنظر لطبيعة الباحث " فمعاني الاستفهام هي عند البياني مجازية من حيث أنها حاصلة من استعمال لفظ الاستفهام في غير ما وضع له في الأصل توسعا وتجوزا؛ وعند النحوي بلاغية؛ تمييزا لها عن النحوية؛ من حيث أنها حاصلة لخصوصية زائدة على أصل المعنى، مراعاة لما يقتضيه الحال؛ وهي عند أنصار نظرية الأعمال اللغوية، تداولية، من حيث أن المرجع في تحديدها إلى قيمة القول التداولية".[15]

ويفترض هذا البحث أن المنحى الحجاجي يكون غالبا في الاستفهام الذي خرج عن أصل وضعه أو ما سمي بالاستفهام البلاغي؛ لأنه لما كان المستفهم عالما بما يستفهم عنه مستغنيا عنه من حيث هو طلب حصول في الذهن، فإنه يستهدف به أغراضا أخرى لعل المحاجة ومحاولة إقناع المخاطب أحد أهم غاياته منه، أما المعاني التي يخرج إليها الاستفهام عند صاحب البرهان في علوم القرآن فهي" قسمان: بمعنى الخبر وبمعنى الإنشاء "[16].

ولعل أكثر ما يعنينا في بحثنا هذا ما يتولد من معان عن الاستفهام الذي خرج إلى معنى الخبر، لأنه هو ما يعنينا في تحليل آيات المحاجة بين نبي الله إبراهيم عليه السلام وبين قومه، هذا من جهة ومن جهة ثانية لحصر مجال هذا البحث حتى لا يتسع إلى ما تنوء به هذه الورقات، لذا سنعرض في إيجاز إلى المعاني التي يتجه إليها الاستفهام إذا أفاد معنى الخبر، ونكشف عن ملامحه الحجاجية في كل مرة كما بدت عند شراح التلخيص ثم في بعض نصوص دلائل الإعجاز عند عبد القاهر الجرجاني.

مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830

المجلد السابع / العـدد الثاني
(جمادى الثاني 1445هـ/ ديسمبر 2023م)، ص 147–171

إذا اتجه الاستفهام إلى الخبر – والخبر ضربان إثبات ونفي– فإنه يكون إما لإفادة معنى الإثبات أو معنى النفي، ولقد قرر الأصوليون أنه في خروجه إلى ذينك الأصلين يكون على معنيين هما: التقرير والإنكار، قال الزركشي عن الاستفهام الذي يكون بمعنى الخبر إنه: " ضربان: أحدهما: نفي، والثاني: إثبات؛ فالوارد للنفي يسمى استفهام إنكار، والوارد للإثبات يسمى استفهام تقرير؛ لأنه يطلب بالأول إنكار المخاطب، وبالثاني إقراره به "[17]، ولعل هذا التصنيف من أهم التصنيفات، لأنه عمل على جمع شتات عديد المعاني التي اختلفت وتعددت عند غيره[18]، في هذين القسمين؛ أي التقرير والإنكار، واعتبر الأغراض الأخرى كالعتاب والتسوية والتعظيم والتهويل والتفجع، وجوها لمعنى التقرير.[19]

أما استفهام التقرير فقد تردد علماء العرب بين معنيين له، يقول في ذلك السبكي:" وأما التقرير، اعلم أنهم لم يفصحوا عن مرادهم به، فهل نقول إن المراد به الحكم بثبوته كقولك: قررت هذا الأمر؛ أي أثبتُّه... أو المراد أنه طلب إقرار المخاطب به، مع كون السائل يعلم، فهو استفهام يقرر المخاطب؛ أي يطلب منه أن يكون مقرا به"[20]، فالزركشي مثلا قد اقتصر على معنى واحد منهما إذ يعرف التقرير بأنه "حملك المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده"[21]، أما المغربي فيرى أنه "... يكون لمعنيين أحدهما التحقيق والتثبيت...والآخر حمل المخاطب على الإقرار و إلجاؤه إلى ذلك الإقرار وإلزامه إياه...".[22]

أما الرأي الذي يجمع بين المعنيين ويعتقد أنهما مرحلتان من مراحل إنشاء التقرير، فيبدو رأيا صائبا على الأقل من الناحية الحجاجية، وهو رأي باحثة معاصرة[23] إذ تقول " وإنما الظاهرة تتمثل على ما نرى في أن التقرير هو عمل يعمله المتكلم في مرحلتين متتاليتين، لا تقوم أولاهما دون أن تتبعها الثانية، ولا تقوم الثانية بدون المرور بالأولى، وهاتان المرحلتان هما: " أ– التحقيق والتثبيت...ب– حمل المخاطب على الإقرار...".[24]

أما التحقيق والتثبيت فهو أن يسعى المتكلم إلى تأكيد ما يعلم من خلال الجواب الذي يدلي به المسؤول، فيكون محققا لأمر واقع حاصل؛ والتثبيت غير الإثبات، لأن الإثبات يكون ابتداء وبخبر يجهله السامع، في حين أن التثبيت هو تحقيق وتأكيد أمر لدى السامع كان قد ثبت عنده قبل ذلك، فإن قيل ولم احتاج المتكلم إلى تثبيت ما يعلم وما يعلم أن مخاطبه يعلمه ؟ كان الجواب أن ذلك لأجل تحقيق هدف حجاجي مرحلي من مثل ألا " يكون المتكلم مُثْبِتًا لما يعتقده، متحملا بذلك مسؤولية اعتقاده ذلك، بلُ مثَبِّتاً، وبالتالي محملا مسؤولية الإثبات لمخاطبه...".[25]

وأما استفهام الإنكار فهو بدوره على نوعين يقول المغربي:" وقد تبين بما تقرر أن التوبيخ يشارك التكذيب في النفي، ويختلفان في أن النفي في التوبيخ متوجه لغير مدخول الهمزة وهو الانبغاء، ومدخولها واقع أو كالواقع، وفي التكذيب يتوجه لنفس مدخولها، فمدخولها غير واقع...".[26]

فالأمر المنفي في إنكار التكذيب يتجه إلى:

- ما تعلق بالماضي؛ أي لم يكن، فإذا كان المخاطب قد ادعى وقوع شيء فيما مضى، جيء بالاستفهام الإنكاري تكذيبا له في ما ادعاه، ومثاله" **چ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ چ (الإسراء)**[27] ؛ أي لم يفعل هذا الذي تدّعون"[28].
- ما تعلق بالحال أو الاستقبال؛ أي لا يكون،" بمعنى أن المخاطب إذا ادعى أنّ أمرا من الأمور يقع في المستقبل أو في الحال، جيء بالاستفهام الإنكاري تكذيبا له، نحو قوله عز وجل: **چ ... ئم ئى ئي بج بح چ (هود)**.[29]

ومن لطيف دقائق هذا المعنى أنّ المُنكِر في التكذيب" إنما يستفهم عن أمر هو عالم بانتفاء وقوعه، وعالم أن المخاطب عالم بدوره بذلك، وهو إذ يستفهم إنما يعمل على تثبيت انتفاء الوقوع ذاك، وعلى حمل مخاطبه على الإقرار بذلك النفي، حتى يتبين كذبه في مُدعاه"[30]، وهذه الملاحظة من أهم الآليات الحجاجية في هذا النوع والتي سنعود لتفصيلها في حينها.

مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830
المجلد السابع / العـدد الثاني
(جمادى الثاني 1445هـ/ ديسمبر 2023م)، ص 147–171

أما النوع الثاني فسمي بإنكار التوبيخ، يقول صاحب الإتقان في بيانه:" التوبيخ، وجعله بعضهم من قبيل الإنكار، إلا أن الأول إنكار إبطال، وهذا إنكار توبيخ، والمعنى على أن ما بعده واقع جدير بأنُ ينفى"[31]، ويكون التوبيخ عما مضى ووقع أو عما هو آتٍ محتمل الوقوع، قال التفتازاني شارحا معنى التوبيخ: " أي (ما كان ينبغي أن يكون ذلك الأمر الذي كان) (نحو أعصيت ربك؟)، فإن العصيان واقع لكنه منكر...أو (لا ينبغي أن يكون) أي؛ أن يحدث ويتحقق مضمون ما دخلت عليه الهمزة وذلك في المستقبل (نحو أتعصي ربك) يعني لا ينبغي أن يتحقق العصيان".[32]

والملاحظ أن إنكار التوبيخ يتضمن معنى التقرير بمعنى التثبيت؛ أي: التحقيق، قال المغربي: "...ولذلك يقال: الإنكار التوبيخي يتضمن التقرير؛ أي التثبيت والتحقيق، ولذلك فسر التوبيخ بما يقتضي الوقوع بقوله: أي ما كان ينبغي أن يكون ذلك الأمر الذي كان، لأن العرف إنك إنما تقول ما كان ينبغي لك هذا يا فلان إذا صدر منه...ولتضمن الإنكار التوبيخي للوقوع والتقرير، يقال في أمثلته: إنها للتقرير، بمعنى أن يفيد التحقق والثبوت"[33]، فالمحاجج المنكر أو الموبخ إذ يسعى لإقناع المخاطب يتخذ من الاستفهام التقريري سبيله لجعل الطرف الآخر يُقرُّ بما تلبس اعتقادا أو قولا أو فعلا، تمهيدا إلى السير به نحو إثبات فساد ما هو عليه، وفق استراتيجية حجاجية سنتبينها أكثر في تحليل آيات محاجّة نبي الله إبراهيم لقومه.

كذلك تتضح بعض القيم الحجاجية للاستفهام البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني فيما كان قد بحثه في مسألة التقديم والتأخير وأثبت أن في كل تقديم أو تأخير لطيفة يحكمها سياق الحال الذي لأجله سيق الكلام على نحو ما؛ لعل ما نحتاجه هنا هو ما كشف عنه من قيم إقناعيه في الاستفهام بالهمزة بوجه خاص؛ إذ التقديم والتأخير فيما يلي الهمزة يحمل دلالات دقيقة في التواصل الحجاجي كما سنكشف، يقول عبد القاهر الجرجاني" إن أبين شيء في ذلك «الاستفهام بالهمزة»، فإن موضع الكلام على أنك إذا قلت: «أفعلت؟»، فبدأت بالفعل، كان الشك في الفعل نفسه، وكان غرضك من استفهامك أن تعلم

وجوده؛ وإذا قلت: «أأنت فعلت؟»، فبدأت بالاسم، كان الشك في الفاعل من هو، وكان التردد فيه"[34]، والمعنى أنه:

– إذا أتبع السائل الهمزة بالفعل الماضي، يكون شاكا مترددا في نفس الفعل، هل وقع أو كان أصلا أو لم يكن ؟

– إذا ولي الهمزة الفاعل كان الشك والتردد فيه، وهل كان الفعل منه أم كان من غيره، ففيه إثبات أن الفعل قد كان ووقع، وإنما بقي التردد في فاعله.

يقول في موضع آخر:" واعلم أن هذا الذي ذكرت لك في «الهمزة وهي للاستفهام» قائم فيها إذا هي كانت للتقرير. فإذا قلت: «أأنت فعلت ذاك ؟»، كان غرضك أن تقرره بأنه الفاعل...[و] إذا قال: «أفعلت؟» فهو يقرره بالفعل من غير أن يردده بينه وبين غيره، وكان كلامه كلام من يوهم أنه لا يدري أن ذلك الفعل كان على الحقيقة "[35]، ويستفاد منه أنه إذا كانت الهمزة للتقرير ووليها الفعل، فالمستفهم هنا يسأل عن الفعل، لكن السائل يبدو موهما أنه لا يدري أن الفعل كان على الحقيقة لأجل تثبيت ما يعلم بما ينطق به المسؤول، وفي هذا الإيهام و التثبيت بعد حجاجي هدفه إشراك الطرف الآخر في الحوار وجعله ينطق بلسانه بما يكون حجة عليه، ومن البديهي أن المخاطب سيذعن لما صدر عنه أكثر مما حُجَّ به من غيره.

ومن دقائق المعنى في هذا الباب ذات الأبعاد الحجاجية، ما جاء في بحثه قول الحق تبارك و تعالى: چ ... ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱچ(**يونس**)، فالاستفهام هنا عن الفاعل لأنه ولي الهمزة؛ أي لفظ الجلالة "الله" عز وجل ويظهر التردد فيه – على أن الله عز وجل لا يستفهم على الحقيقة– أي: هل أُذن لكم من الله أم من غيره؟ والمعلوم أنه لم يكن إذن أصلا لا من الله عز وجل ولا من غيره، فلِمَ كان الاستفهام عن الفاعل مع أن الفعل لم يكن أصلا؟

هذا طريق آخر يسلكه المستفهم المحاجج وهو أن يسلم ابتداء بزعم خصمه، و يجاريه فيما ادعاه، للإيقاع به في شراك ما زعم، ويكون في الاستفهام بإخراجه في تركيب على غير ما يفيد إنكار الفعل بداية، ثم يطالب الخصم بالدليل الذي يثبت صحة دعواه، وهنا يعجز هذا الخصم وتقام عليه الحجة، قال الجرجاني في حديثه عن همزة الاستفهام: "وقد تكون إذ يراد إنكار الفعل من أصله ثم يخرج مخرجه إذا كان الإنكار في الفاعل، مثال ذلك قوله تعالى: ﭽ ... ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ **(يونس)**، والإذن يتعلق بقوله تعالى: ﭽ ﮓ ﮔ ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ے ۓ ﮱ ﭼ **(يونس)**، ومعلوم أن المعنى على إنكار أن يكون قد كان من الله تعالى إذن فيما قالوه، من غير أن يكون هذا الإذن قد كان من غير الله فأضافوه إلى الله، إلا أن اللفظ أخرج مخرجه إذا كان الأمر كذلك لأن يُجعلوا في صورة من غلط فأضاف إلى الله إذنا كان من غير الله فإذا حقق عليه ارتدع"[36]، وليس ذلك- في الفعل الحجاجي- إلا استدراجا واستمالة لهم حتى إذا طلب منهم على وجه التحقيق ذكر من كان الإذن منه حقيقة أو من ذا الذي أبلغهم تلك الشرائع عن الله، لم يجدوا جوابا إلا أن يكونوا قد فعلوا ما فعلوا من تلقاء أنفسهم، فلزم من ذلك أن تكون النتيجة أنهم على الله مفترون.

إذن كان أن صيغ الاستفهام للتقرير، لا عن فعل الإذن بل عن فاعله، إيحاء أنّ الفعل قد كان، حتى يكشف زيفهم بأن يعجزوا عن ذكر الفاعل، لأنه لم يكن لا فعل ولا فاعل، ولم يبق إلا أن يكون اختلاقا وافتراء، فألزمهم الحجة بهذا الاستدراج[37]، ويكون قد تحقق هدف حجاجي مرحلي وهو إقناعهم ببطلان ما ادعوه وبقي أن يستجيبوا لنداء الحق بعد ذلك.

أما إن تعلق الاستفهام بالمفعول به وكان الفعل مضارعا، فإنه لا يكون شك في الفعل ولا في الفاعل، إنما يقصد المستفهِم من وقع عليه الفعل، وفيه أسرار فيما لو كان المعنى على الإنكار ومنه قوله تعالى: ﭽ ں ڻ ڻ ڻ ۀ ... ۆ ﭼ **(الأنعام)**، إذ يقول عبد القاهر الجرجاني في تحليل هذه الآية: "

وذلك لأنه قد حصل بالتقديم معنى قولك: « أيكون غير الله بمثابة أن يتخذ وليا؟ ويرضى عاقل من نفسه أن يفعل ذلك؟ وأن يكون جهل أجهل وعمى أعمى من ذلك؟»".[38]

4. آليات اشتغال الاستفهام الحجاجي في محاورة نبي الله إبراهيم –عليه السلام– قومه

يقول الله عز وجل إذ يقص محاجة إبراهيم –عليه السلام– قومه: ﭽ ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ﭼ **(الشعراء)**.

قبل أن نكشف عن الآليات الحجاجية للاستفهامات الواردة في هاته الآيات، كان من الضروري وضع النص في مختلف سياقاته وبيان أطراف الخطاب وتحديد الهدف أوالقصد الحجاجي العام.

1.4 السياق اللغوي للآيات:

بعد أن استُهلت سورة الشعراء بقول الله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭽ وما بعدها مما ذكر الله تعالى فيه حزن النبي ﷺ بسبب قومه المكذبين لرسالته، المعرضين عن تدبر آيات الكون الدالة على الخالق الإله الحق، جاءت مباشرة تتلوها حكاية قصة نبي الله موسى، ثم تلتها قصة نبي الله إبراهيم عليهما السلام، قال ابن عاشور:" أعقبت قصة موسى مع فرعون وقومه بقصة رسالة إبراهيم، وقدمت هنا على قصة نوح على خلاف المعتاد في ترتيب قصصهم في القرآن، لشدة الشبه بين قوم إبراهيم وبين مشركي العرب في عبادة الأصنام، التي لا تسمع ولا تبصر، وفي تمسكهم بضلال آبائهم .."[39]، أما الرازي فقال: " اعلم أنه تعالى ذكر في أول السورة شدة حزن مُحَمَّد ﷺ بسبب كفر قومه، ثم إنه ذكر قصة موسى عليه السلام ليعرف مُحَمَّد أن مثل تلك المحنة كانت حاصلة لموسى، ثم ذكر عقبها قصة إبراهيم عليه السلام ليعرف مُحَمَّد أيضا أن حزن إبراهيم عليه السلام بهذا السبب كان أشد من حزنه، لأن من عظيم المحنة

على إبراهيم عليه السلام أن يرى أباه وقومه في النار وهو لا يتمكن من إنقاذهم إلا بقدر الدعاء والتنبيه"[40].

2.4 – سياق الحال:

جاء الخطاب الرباني هنا، والحال إعراض من مشركي العرب عن دعوة مُحَمَّد ﷺ، وإصرار على عبادة الأصنام، فشابهوا بذلك قوم إبراهيم عليه السلام، قال صاحب التحرير والتنوير:"...أعقب ذلك بضرب المثل بدعوة إبراهيم المماثلة لدعوة مُحَمَّد ﷺ في النداء على إعمال دليل النظر، ولأن حال العرب على أن إبراهيم عليه السلام جدّهم الذي يفتخرون بالانتساب إليه، والتأسي به عليه السلام"[41]، وقد كان قوم إبراهيم عليه السلام " صابئة يعبدون الكواكب وجعلوا الأصنام رموزا على الكواكب تكون خلفا عنها في النهار، فإذا جاء الليل عبدوا الكواكب الطالعة...[و]كانت الأمم الوثنية تعبد الوثن لرجاء نفعه أو لدفع ضره"[42]، أما زمن الخطاب منه عليه السلام، فالأرجح أن يكون قد " ألقى عليهم السؤال حين تلبسهم بعبادة الأصنام كما هو مناسب الإتيان بالمضارع في قوله: تعبدون".[43]

3.4– أطراف المحاجة:

أ- المُحَاجِجُ:

- الله سبحانه وتعالى تثبيتا لنبيه الكريم ومقيما الحجة على خلقه.
- النبي مُحَمَّد ﷺ محاجا قومه(ناقلا خبر نبي الله إبراهيم).
- نبي الله إبراهيم عليه السلام.

ب– المخاطَب:

- المخاطَب الصريح: هم قوم نبي الله إبراهيم وأبوه باعتباره سيدهم وسادن بيت أصنامهم"گ گ گ گ..."، ورجح ابن عاشور أن يكون نبي الله إبراهيم" ابتدأ بمحاجة أبيه في خاصتهما ثم انتقل إلى

محاجة قومه"[44]؛ أي أنه وجه الخطاب لأبيه منفردا ثم واجه قومه على الملأ، وهو المخاطب الظاهر من صريح الآيات.

- المخاطب الضمني: –قوم النبي مُحَمَّد ﷺ من مشركي العرب في قوله تعالى: "واتل عليهم"، وأول السورة الكريمة وآخرها في الحديث عنهم.
- هو النبي ﷺ نفسه، لأن من هدف القصة عموما " تسليته صلى الله عليه وسلم عما قالوه في شأن كتابه الأكرم".[45]

4.4- الهدف الحجاجي:

تهدف هذه المحاورة إلى حمل قوم إبراهيم عليه السلام حكاية وقوم النبي مُحَمَّد ﷺ واقعا على إعمال العقل لاستنتاج بطلان ما هم عليه من عبادة الأصنام فيرتدعوا ويعودوا إلى فطرة التوحيد، فقد دعاهم إبراهيم عليه السلام" إلى الاستدلال على انحطاط الأصنام عن مرتبة استحقاق العبادة ليكون إيمان الناس مستندا لدليل الفطرة"[46]، وكذا كان شأن مشركي العرب و"إنما أمر الرسول ﷺ بتلاوته للإشارة إلى أن الكلام المتضمن نبأ إبراهيم هو آية معجزة، وما تضمنته من دليل العقل على انتفاء إلهية الأصنام التي هي أصنام العرب آية أيضا..."[47]، أما ما قصد به النبي مُحَمَّد ﷺ فتثبيته وتسليته؛ أي " اذكر ذلك لقومك واتل عليهم نبأ إبراهيم؛ أي خبره العظيم الشأن حسبما أوحي إليك ليتأكد عندك لعدم تأثرهم بما فيه العلم بشدة عنادهم"[48] وما ذكرنا آنفا من تسليته ﷺ عما قالوه في شأن كتابه العظيم.

5.4- آليات الاشتغال الحجاجي للاستفهام في الآيات:

تعمل الاستفهامات البلاغية في الآيات وفق آليات حجاجية تتضافر باتجاه الهدف المقصود وهي:

أ- المنطلقات:

هي فكرة أو أفكار تعرض ابتداءً وتكون محل قبول واتفاق بين المحاجِج والمخاطَب فيتأسس الحجاج عليها، وقد انطلق نبي الله إبراهيم من مقدمة تتمثل في مضمون المستفهم عنه بداية في قوله" ما تعبدون ؟ " إذ يمثل المقتضى المعجمي للفعل (تعبدون) أن القوم عاكفون على إله يتقربون إليه بالفعل الذي هم عليه، ثم لما جاء الفعل دالا على الحال كان يحمل معنى شهود الفعل منه عليه السلام، حيث قد تلبس به القوم على مرأى منه فلا يملكون له إنكارا، وهو ما يمثل واقعة بمفهوم بيرلمان التي تعد منطلقا يمهد لما بعده، وبها – في أدنى مراتبها – يفرض سيدنا إبراهيم موضوع المحاورة على الخصم ويفتتح معه المناقشة، بل ويبني عليها حجاجه كاملا كما سيأتي؛ أي أن واقعة فعل العبادة هي منطلق للحوار الحجاجي وقد ابتدأه سيدنا إبراهيم وأقره القوم فقالوا:" نعبدُ..." فاشتركا واتفقا على تلك الواقعة.

ب- الدفع للانخراط في المحاورة بإزالة دواعي النفور:

يعمل الاستفهام ابتداء على آلية تسعى لإقحام المخاطب في العملية الحجاجية، إذ بدون انخراطه فيها لا يملك المحاجج تنفيذ بقية استراتيجيته، ولما كان الاستفهام في الأصل هو استدعاء لمطلوب غير حاصل وقت الطلب – حتى وإن خرج عن هذا الأصل فإن سمة الطلب باقية فيه – كان المسؤول هو المراد منه تحقيق المطلوب باعتبار" السؤال تجلّ لمشكل مطروح تجب معالجته، ومن ثم فهو يقتضي تفاعلا بين الذوات المعنية".[49]

والملاحظ أن الاستفهام الأول لنبي الله إبراهيم" ما تعبدون؟ " عمل على إزالة موجبات النفور عند قومه فكان أن " ألقى فيها دعوته في صورة سؤال استفسار غير إنكار استنزالا لطائر نفورهم "[50]؛ أي أن الفائدة الحجاجية لهذا الاستفهام تمثلت في إزالة دواعي الاحتداد في الخطاب ابتداء إن هو أنكر عليهم فعلهم في مستهل المحاورة، الأمر الذي قد ينهي الحوار سريعا، فما " فهم قومه من كلامه إلا الاستفسار فأجابوا: بأنهم يعبدون أصناما يعكفون على عبادتها"[51]، إذن اعتمد المحاجج استفهاما بدا لهم على حقيقته

فجعلهم ينخرطون في دورة الخطاب متجاوبين، ثم إنه فرض عليهم موضوع المحاورة؛ أي موضوع عبادة الأصنام .

فالهدف الحجاجي المرحلي هنا هو أنه أراد عليه الصلاة والسلام بالاستفهام افتتاح المجادلة معهم وفرض موضوعها بما يحقق عدم تنصلهم منها ابتداء.

ت- آلية الاستدراج:

جاء في المعجم"استدرج، يستدرج، استدراجا، فهو مستدرِج، والمفعول مستدرَج، استدرج فلانا إلى كذا:خدعه حتى أطاعه، حمله على أن يفعل ما يريد بالإغراء أوالحيلة".[52]

يقترب اشتغال بعض الاستفهامات من اللون البلاغي الذي سماه ابن الأثير بالاستدراج، إذ يعرفه بقوله "هو استمالة المخاطب بما يُؤْثره ويأنس له، أو ما يخوفه ويرعبه، قبل أن يطلب منه ما يريد، أو بعبارة أخرى، هو أن يقدم المتكلم للمخاطب ما يعلم أنه سيؤثر في نفسه، من ترغيب وإطماع وتزهيد"[53]، وعرف بأنه " التوصل إلى حصول الغرض من المخاطب والملاطفة له في بلوغ المعنى المقصود من حيث لا يشعر به، وفي ذلك من الغرائب والدقائق ما يوثق السامع ويطريه، لأن مبنى صناعة التأليف عليها ومنشأها منها".[54]

ويكون الاستدراج بالاستفهام الواحد الذي يُسْلِم إلى النتيجة، أو بالاستفهام الذي يتلوه آخر، أو ربما ثالث، وهكذا في سلسلة من الأسئلة التي تستميل المخاطب بالتدريج –من خلال إقراره في كل مرة– إلى الهدف الحجاجي الذي رسمه المستفهم.

إن لنفس السؤال؛ أي قوله عليه الصلاة والسلام " ما تعبدون ؟ " حضورا مهما في الاستراتيجية العامة إذ كان استفهاما يستدرجهم لما بعده، فقد ساقه نبي الله طلبا لإقرارهم وتثبيتا لاعتقادهم في عبادتها، فأقروا وزادوا مفتخرين " نعبد أصناما، فنظل لها عاكفين" لأنه كان يفترض أن يكون الجواب منهم على قدر سؤاله لهم سؤالا عن طبيعة معبودهم، فيقولوا: أصناما، فكرروا لفظ العبادة افتخارا وزادوا عليه " مع أن

مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830

المجلد السابع / العـدد الثاني
(جمادى الثاني 1445هـ/ ديسمبر 2023م)، ص 147–171

الشأن الاستغناء عن التصريح إذ كان جوابهم عن سؤال فيه تعبدون، فالحاجة إلى تعيين جنس المعبودات فيقولوا: أصناما...عدلوا عن سنة الجواب إلى تكرير الفعل الواقع في السؤال ابتهاجا بهذا الفعل وافتخارا به"[55].

إذن حمل جوابهم وإقرارهم هذا تأكيدا لاعتقاد معلوم عند محاورهم نبي الله عليه السلام، فكان استفهامه ممهدا "...لأنه يعلم أن جوابهم ينشأ عنه ما يريده من الاحتجاج على فساد دينهم وقد أجابوا عن استفهامه بتعيين نوع معبوداتهم "[56]، وذاك هو الاستدراج، ثم كان الاستفهام الثاني مبْنيا على سابقه تابعا له، يقوم على ما أثبتوه بجوابهم" معبودنا الأصنام "، فقال مستفهما:" ﭐ ﺋ ﻫ ه" استفهاما إنكاريا توبيخيا تسفيهيا كما قال البلاغيون، لأن من شأن الإله المعبود أن يسمع دعاء من ناجاه، أو سأله ورجاه، وهي الحقيقة الثابتة في علم السائل والمسؤول، ثم استتبع مستفهما " ﺑ ﺑ ﻫ ه"؛ أي أن المعلوم عندنا أن الإله هو الضار النافع فهل هذا هو شأنها؟ كأنه يقول: " ما الفائدة من عبادة لا هدف لها ؟ فهل تفكرون قليلا، وتتأملون كثيرا فيما تفعلون؟ وكيف تستجيزون أن تعبدوا ما هذا وصفه ؟".[57]

وبذلك حدث ربط عقلي محكم بين مقتضى الاستفهامين، بين إقرارهم الصريح الأول، ثم إقرارهم الضمني في الثاني لأنهم لما أجابوا هنا بقولهم:" قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون"، تهربوا من التصريح، وفي قولهم (بل)" إضراب؛ أي لا تسمع ولا تنفع ولا تضر ولا نعبدها لشيء من ذلك، ولكن وجدنا آباءنا كذلك يفعلون فقلدناهم"[58]، فإجابتهم عن سؤاله كانت بالنفي، ولوكانوا يعتقدون فيها السمع والنفع لأجابوا وصرحوا (نعم) مؤكدين لما يؤمنون به، ولو كانوا يرون في المعبود–عموما– أنه ليس من شأنه السماع والنفع والضرر لردوا على نبيهم بالنفي وبعدم جدوى سؤاله، لكن في انصرافهم عن الإجابة إقرار بما توخاه المستفهم من إلزامهم الحجة.

فكانت النتيجة أن ألجأهم إلى قطع المجادلة، مستسلمين لكل حججه التي تسفه ما هم عليه، قال صاحب التحرير والتنوير في حكاية جواب القوم إنه جاء: " للانتقال من مقام إثبات صفاتهم إلى مقام

قاطع للمجادلة في نظرهم وهو أنهم ورثوا عبادة هذه الأصنام، فطووا بساط المجادلة في صفات آلهتهم وانتقلوا إلى دليل التقليد تفاديا من كلفة النظر والاستدلال بالمصير إلى الاستدلال بالاقتداء بالسلف"[59]، فيكون الاستفهام الأول قد عمل على استدراجهم إلى الاستفهام الثاني الذي مثل الحجج ذاتها المبطلة لدعواهم، أو ما سميناه (الاستفهامات الحجج).

ث- الاستفهامات الحجج:

يقوم الاستفهام الثاني والثالث في الآيات على بنية منطقية من مثل:

-مقدمة 1: هل يسمعونكم؟ أو ينفعونكم، أو يضرون؟ المتضمن (الإله الحق: سميع، مجيب، ضار، نافع).

-مقدمة 2: جواب القوم ضمنيا: أصنامنا لا يسمعون ولا ينفعون أو يضرون.

-النتيجة: الأصنام ليست آلهة (لا تستحق العبادة).

حيث تمثل الاستفهامات (هل يسمعونكم ؟)، (أو ينفعونكم أو يضرون ؟)، حججا تتعلق بما هو من صفات الإله بحكم ما تقتضيه تلك الاستفهامات استنادا إلى علاقتها بالاستفهام الأول (ما تعبدون؟)، كأن سيدنا إبراهيم يربط بين الاستفهامين فيقول: إذا كنتم تعبدون هذه الآلهة فإن من شأن الإله المعبود- كما هو معلوم مستقر عقلا عندي وعندكم- أن يسمع دعاء عباده وأن يضرهم أو ينفعهم؛ أي: الإله سميع نافع ضار، فهل ما تعبدون كذلك؟

إذن ساق نبي الله استفهامات يحمل مقتضى كل منها حجة ضد الخصم المخاطب متى ثبّتها بإقراره خسر قضيته، فيكون الهدف الحجاجي من إبطال عبادتهم قد تحقق، وبقي أن يستجيبوا فيخجلوا و يرتدعوا، لكن المكابرة دعتهم إلى الاتكاء على ما لا يقنع ولا يحج من التقليد للأباء والمعلوم أن " التقدم والأولية لا يكون برهانا على الصحة، والباطل لا ينقلب حقا بالقدم".[60]

مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830

المجلد السابع / العـدد الثاني
(جمادى الثاني 1445هـ/ ديسمبر 2023م)، ص 147–171

ج- المشاركة في بناء الحجج:

يعتمد المحاجِج المستفهِم في العادة أسئلة تمثل إجابات المخاطب عنها أدلة لأنها تمثل اعتقاده ورأيه في موضوع النقاش، ويشكل تعدد الأسئلة تراتبية تقود مع إجاباتها بوعي منظم إلى النتيجة المستهدفة، يقول أحمد بدوي: "ولعل السر في جمال أسلوب الاستفهام ... والعدول إليه عن أسلوب النفي، هو أن الاستفهام في أصل وضعه يتطلب جوابا يحتاج إلى تفكير يقع به هذا الجواب في موضعه، ولما كان المسؤول يجيب بعد تفكير وروية عن هذه الأسئلة بالنفي، كان في توجيه السؤال إليه حملا له على الإقرار بهذا النفي، وهو أفضل من النفي ابتداء ".[61]

جاء الاستفهام الثاني لسيدنا إبراهيم محققا لبعد حجاجي مهم جدا وهو أن يسهم المتلقي بتفكيره وبإعمال مبادئ العقل وتوظيف المعارف المستقرة عنده في الاستدلال، ومن بعده بطرح النتيجة التي انتهى إليها فكان أن " ألقى عليهم هذا السؤال ليكونوا هم المبتدئين بشرح حقيقة عبادتهم ومعبوداتهم، فتلوح لهم من خلال شرح ذلك لوائح ما فيه من فساد، لأن الذي يتصدى لشرح الباطل يشعر بما فيه من بطلان عند نظم معانيه أكثر مما يشعر بذلك من يسمعه".[62]

ح- سلطة المستفهِمِ المُنكِرِ:

يبدو المستفهِمُ المنكِرُ في موضع قوة مقارنة بالطرف الآخر، فهو إذ يرفض الفعل أو الاعتقاد الذي تلبس به المخاطب، وينكره عليه، ويسعى إلى انتزاع اعترافه بأنه ما كان ينبغي لك فعل ما فعلت، إنما يستند إلى سلطة تبرر موقفه القوي هذا، وإلا فإنه لن يجد لإنكاره مبررا، ومثاله: أتنهر أباك؟ تريد أن تنكر على الولد عقوقه استنادا إلى سلطة دينية، أو أخلاقية، أو عرفية تحرم هذا الفعل أو تستبشعه وتستهجنه، مما يمثل معرفة مشتركة بينك وبين هذا المنكر عليه،وسلطة لها سيادتها على أفراد المجموعة البشرية التي تخضع لها.

وهكذا لا بد من سلطة تعضد إنكار المنكر، وتكون حجة على المخاطب في أنه ما كان ينبغي عليه فعل ما كان، ومن هذه السلط التي تقوي موقف المنكر في الاستفهام، سلطة العقل التي ظهرت في إنكار نبي الله إبراهيم عليه السلام على القوم، مستندا في إنكاره فعل القوم على حجة الواقع، كون هذه الأصنام لا تملك شيئا من نفع وضرر وغيره كما هو مشاهد عيانا، فأراد حملهم على الإقرار بذلك استنادا إلى شهادة الواقع، ثم إن إنكاره عليهم قد استند إلى خلفية معرفية مشتركة بينه وبين قومه اتكأ عليها دليلا يجعله في موقع قوة في النكير على القوم أمر عبادتها، وتتعلق بما هو من شأن الإله (الإله سميع مجيب، ضار، نافع...)، ولو كان القوم يخالفونه هذا المعتقد لردوه بل ولأنكروه، لكنهم لم يفعلوا.

5. خاتمة:

مما تقدم نجد أن عدول المحاجج عن الخبر الصرف إلى الاستفهام البلاغي المفيد لمعنى الخبر يحقق له أبعادا حجاجية مهمة لا يبلغها بذاك الخبر الصرف ونلخصها في:

- حمل المخاطَب على الإقرار وإلجاؤه إلى ذلك الإقرار وإلزامه إياه، وبذلك لا يكون المتكلم هوالمثبت لما يعتقده، متحملا بذلك مسؤولية اعتقاده ذلك، بلُ مثَبّتاً، وعلى ذلك يتحمل المخاطَب مسؤولية الإثبات .
- إنّ المستفهم المقرر إذ يقدم الفاعل عن الفعل في استفهامه، يكون قد أثبت حدوث الفعل بطريق غير مباشر وفيه انتقال إلى مرحلة متقدمة من المُحاجّة، لا يملك معها المخاطَب التشكيك في وجود الفعل.
- أنْ يُسَلِّم المحاجج ابتداء بزعم خصمه، ويجاريه فيما ادعاه، للإيقاع به في شراك ما زعم، ويكون في الاستفهام بإخراجه في تركيب على غير ما يفيد إنكار الفعل بداية، ثم يطالب الخصم بالدليل الذي يثبت صحة دعواه فيما فعل أو ادعى، وهنا يعجز هذا الخصم وتقام عليه الحجة.
- تعمل بعض الاستفهامات على إزالة دواعي الاحتداد في الخطاب ابتداء أو في مستهل المحاورة، لأن نفور الخصم في بداية المُحاجّة قد ينهي الحوار سريعا، فاستفهام نبي الله إبراهيم " ماتعبدون؟"-متظاهرا

بجهله وأنه مستفهم على الحقيقة– جعل القوم ينخرطون في دورة الخطاب متجاوبين، وزاد أنْ فرض عليهم موضوع المحاورة ؛ أي موضوع عبادة الأصنام .

– تتضافر بعض الاستفهامات في تراتبية أو سلسلة من الأسئلة التي تستميل المخاطب بالتدريج –من خلال إقراره في كل مرة – إلى الهدف الحجاجي الذي رسمه المستفهم، وهو ما سمي "الاستدراج".

– يحمل مقتضى بعض الاستفهامات حججا ضد الخصم المخاطب متى ثبّتها بإقراره خسر قضيته.

– يعمل الاستفهام على إشراك الطرف الآخر في بناء الحجج ومن ثَمَّ استسلامه لنتائج ما شارك هو فيه، لأن الذي يتصدى لشرح موضوع المحاجة يشعر بما فيه من فساد رأيه أكثر مما يشعر بذلك من يسمعه.

– إن موقف المُنكِر في الاستفهام يستند إلى سلطة يذعن لها جميع أفراد الاجتماع البشري في بيئة متقاربة، فتكون تلك السلطة عضدا للمستفهم على المخاطَب في أنه ما كان ينبغي عليه فعل ما كان، ومن هذه السلط سلطة العقل، سلطة الدين المشترك، سلطة الأخلاق وغيرها.

لذلك يمكن القول إن استراتيجية المستفهم عموما تتلخص في كونه يدخل المحاورة متنكرا فيتقمص دورين يبدوان متناقضين، دور مستفهم غير عالم بالخبر دون أن يكون كذلك وبه يطلب الجواب من المتلقي، ودور المجيب المخبر دون أن يفعل فيكون بمجموع الدورين محققا ومثبتا، ولو عمد المتكلم إلى إثبات فعل المخاطب بالخبر المباشر أو بالأمر بالاعتراف لم يأمن احتداد الموقف بينهما فلما قنّعه بدور السائل يكون قد خفف من تلك الحدة، ثم استغل فائدة الاستفهام في شغل ذهن المجيب بالتفكير في الإجابة من جهة وفي ما أحاط به استفهامه من قرائن تفيد علمه بما يستفهم عنه من جهة ثانية، وبذلك يكون قد أوقع المخاطب في حيرة وارتباك وتردد بين هل ينكر ما نسب إليه أم يُقرّ به؟ لما يعرفه هذا من أن إجابته حجة عليه تقوده إلى إثبات ضد ما يفعل وتحصره في زاوية ضيقة.

6- الهوامش:

[1] الرازي زين الدين مُحَمَّد بن أبي بكر، **مختار الصحاح**، تحقيق يوسف مُحَمَّد الشيخ، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، لبنان،ط5، 1999، ص67، مادة (حجج).

[2] ابن منظور، مُحَمَّد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1414هـ،ج2، ص226- 228، مادة حجج.

[3] مُحَمَّد الأمين الطلبة، **الحجاج في البلاغة المعاصرة**، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط1، 2008، ص107.

[4] عبد الله صولة، **الحجاج في القرآن**، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط2، 2007، ص 33.

[5] حاتم عبيد، **من الاحتجاج بالعواطف إلى الاحتجاج للعواطف**، ضمن: الحجاج مفهومه ومجالاته،ج2، ص77.

[6] **لسان العرب**، ج12، ص459، مادة(فهم).

[7] سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر، **الكتاب**، تحقيق عبد السلام مُحَمَّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر،ط3، 1988،ج1، ص99.

[8] ابن يعيش، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا مُحَمَّد بن علي، **شرح المفصل للزمخشري**، قدم له الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،ط1، 2001، ج 5، ص99.

[9] السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن مُحَمَّد بن علي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب، **مفتاح العلوم**، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، الطبعة 2، 1987، ص303.

[10] الدسوقي مُحَمَّد بن مُحَمَّد عرفة، **الحاشية على شرح السعد لتلخيص المفتاح**، تحقيق عبدالحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 2007، ج 2، ص320.

[11] العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، **الفروق اللغوية**، حققه وعلق عليه مُحَمَّد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ، مصر، د ط، د س، ص37.

[12] العسكري، **مصدر سابق**، ص 37.

[13] السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، **الاقتراح في أصول النحو**، ضبطه وعلق عليه: عبد الحكيم عطية، راجعة وقدم له علاء الدين عطية، دار البيروتي، دمشق- سورية، ط2، 2006، ص131.

[14] ينظر في أهم القرائن التي تكشف عن خروج الاستفهام عن أصل وضعه: بسمة بلحاج رحومة الشكيلي، **السؤال البلاغي الإنشاء والتأويل**، دار مُحَمَّد علي للنشر، تونس، ط1، 2007، ص 175 وما بعدها.

[15] المرجع نفسه، ص 236.

[16] الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين مُحَمَّد بن عبد الله بن بهادر، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة،مصر، ط 3، 1984، ج 2، ص 328.

[17] نفسه.

[18] من العلماء الذين بدت المعاني متعددة عنده لا ترجع إلى أصول تجمعها، جلال الدين السيوطي في الإتقان، حيث يقول:" قد توسعت العرب فأخرجت الاستفهام عن حقيقته لمعان أو أشربته تلك المعاني... "وقد وصلت المعاني التي ذكرها في خروج الاستفهام عن أصله إلى اثنين وثلاثين، منها: الافتخار، التفخيم التهويل، التخويف التسهيل والتخفيف، التهديد والوعيد، التسوية، التكثير الأمر، الترغيب، العرض، الدعاء... ينظر: السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب- مصر، د ط، 1974، ج3، ص 268 وما بعدها.

[19] ينظر/ البرهان في علوم القرآن، ص 335-338.

[20] السبكي بهاء الدين أحمد بن علي بن عبد الكافي، **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح**، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان ، ط1، 2003، ج 1، ص459.

[21] البرهان في علوم القرآن، ص 331.

[22] المغربي ابن يعقوب، **مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح**، ضمن سلسلة شروح التلخيص، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003، ج 5، مج 1، ص490.

[23] هي الباحثة التونسية بسمة بلحاج رحومة الشكيلي في كتابها : السؤال البلاغي، الإنشاء والتأويل، وأصل هذا الكتاب أطروحة دكتوراه أنجزتها صاحبتها بإشراف الأستاذ حمادي صمود، تحت عنوان: السؤال البلاغي وثنائية الخبر والإنشاء، بكلية الآداب بمنوبة(تونس)، نوقشت هذه الأطروحة سنة 2004.

[24] ينظر/ السؤال البلاغي، ص243-253.

[25] المصدر نفسه، ص 244 ، 245.

[26] مواهب الفتاح، مج1، ص496.

[27] اعتمدنا في كتابة الآيات الكريمات على مصحف ورش الالكتروني؛ مصادق عليه من وزارة الشؤون الدينية والأوقاف بالجزائر، يوم الأربعاء 6 جانفي 2016، أشرف عليه عمر بن أحمد بوسعدة رئيس قسم إتقان التلاوة والإجازة، عضو لجنة

تصحيح المصاحف، ثم عرضه في فعاليات الأسبوع السابع عشر للقرآن الكريم بقسنطينة، ينظر ذلك وغيره، وكذا ملف البرنامج على رابط الانترنيت:

https://ciphergodseye.blogspot.com/2020/03/moushaf-warch-launch.html

وفي الرابط الآتي شرح للبرنامج من صاحبه الأستاذ عمر بن أحمد بوسعدة:

https://www.youtube.com/watch?v=rGz88tYBUiY

[28] ينظر/ المرجع نفسه، ص495.

[29] نفسه.

[30] السؤال البلاغي، ص251.

[31] الإتقان في علوم القرآن، ص268.

[32] التفتازاني سعد الدين، **مختصر المعاني** (مختصر لشرح تلخيص المفتاح)، دار الفكر، 1990، ص138.

[33] مواهب الفتاح، مج1،ص494،495.

[34] المصدر نفسه، ص111.

[35] المصدر نفسه،ص114.

[36]-نفسه،ص115.

[37]سنأتي على تفصيل معنى الاستدراج فيما يأتي من صفحات هذا البحث.

[38] دلائل الإعجاز، ص122.

[39] ابن عاشور، مُحَمَّد الطاهر بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الطاهر التونسي، **التحرير والتنوير** «**تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**»، الدار التونسية للنشر، تونس، د ط، 1984، ج 19، ص137.

[40] فخر الدين الرازي، أبو عبد الله مُحَمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، **مفاتيح الغيب– التفسير الكبير**، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط3، 1420،ج24، ص 509.

[41]الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1415هـ، ج 10، ص91.

[42] التحرير والتنوير، ج 19، ص 139.

[43]التحرير والتنوير، ج 19، ص 139.

[44]نفسه.

[45] روح المعاني، ج 10، ص91 .

[46] التحرير والتنوير، ج19، ص137.

[47]نفسه.

[48] روح المعاني، ج 10، ص 91.

[49]عبداللطيف عادل، **بلاغة الإقناع في المناظرة**، منشورات ضفاف، بيروت– لبنان، 2013، ص207.

[50] التحرير والتنوير، ج 19، ص 138.

[51]نفسه.

[52]أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، عالم الكتب، القاهرة– مصر، 2008، ج1، ص 734، مادة (درج).

[53] إنعام نوال عكاوي، **المعجم المفصل في علوم البلاغة**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1996، ص82.

[54] أحمد مطلوب، **معجم المصطلحات البلاغية، مطبعة المجمع العلمي العراقي**، د ط، 1983، ج1، ص120.

[55] التحرير والتنوير، ج19، ص 139.

[56] نفسه.

[57] وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، سورية، ط2، 1418 هـ،ج19، ص167.

[58] النسفي أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ج 2، ص 567.

[59] التحرير والتنوير، ج 19، ص 140.

[60] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1407 هـ، ج3، ص318.

[61] أحمد أحمد بدوي، **من بلاغة القرآن**، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، د ط ، 2005، ص126.

[62] التحرير والتنوير، ج 19، ص 138.